هذا الحوار مع الأستاذ الأديب عبد العزيز الرفاعي جاء عفويا ولطيفا وطريفا، وغنيا أيضا. وذلك في حفل تكريمه في إثنينية عبدالمقصود خوجه بجدة بتاريخ ١٤٠٣/٧/٢٥هـ، الموافق ١٩٨٣/٤/٢٥م.

حوار الأدباء مع

عبدالعزيز الرفاعي

❖❖ **الشيخ عبد الله بلخير: نرجو من الأستاذ عبد العزيز الرفاعي أن يسرد على الحاضرين فكرة عن بداياته وسيرته مع الحرف والكلمة.**

❖ بدأت علاقتي بالأدب بقراءات في كتيبات صغيرة من قصص ألف ليلة وليلة، كانت تباع في باب السلام (في الحرم المكي) بدراهم معدودة، فكنت أوفر من مصروفي المدرسي الذي لا يتعدى هللتين، ما أشتري به كتابا من هذه الكتب، وعن طريقها ألفت المطالعة فأحببتها، وأحببت القصة، ثم تدرجت في قراءة القصة إلى قراءة روايات الجيب التي ربما يشتمها بعض الناس، ولكنني مدين لها بكثير من حب القراءة، ثم تدرجت إلى قراءة المنفلوطي فأحببته أيضا، ثم أحببت (مجلة) الرسالة، وكانت تأتي لبعض الإخوة من جيراننا، فأستعير منهم بعض الأعداد وأعكف على قراءتها، وكنت أقرأ كثيرا للدكتور زكي مبارك، وعن طريق زكي مبارك أحببت الرسالة، ثم أخذت أقرأ قصص الرافعي، وطه حسين، ثم عرفت الطريق إلى العقاد وإلى كتاب الرسالة الآخرين.

كانت الرسالة تأتي بالبريد البحري كما يذكر أساتذتنا الكبار، فكنت أنتظر البريد عدة أشهر، فيحمل أعداداً من الرسالة، أعكف عليها وأقرؤها، وكانت للرسالة صحبة قديمة يعرفها الأستاذ الزمخشري في بيت آل العظمة، فقد كان الأستاذ رشدي العظمة من المحبين للرسالة فكنا نضع أعداد الرسالة على الأرض، ثم نقرأ فيها بكل شغف .

بدأت أكتب القصة، فهي أول ما كتبت، لعل هذه المعلومة جديدة عليكم ولكنها هي الواقع، وكان إخوتي في المعهد حينما كنت أدرس بالمعهد، كانوا يسمونني (قصصي المعهد)، مع أني كنت أعرف أنه ليس بيني وبين القصة سبب إطلاقاً، ولعل أستاذي الأستاذ الكبير عبدالله عبد الجبار يحدثكم عن ذلك الطالب الذي كان له دور في المسامرات أيام المعهد، عندما كان أستاذنا الكبير مديراً للمعهد، فقد كان له فضل علينا بالتوجيه والإرشاد والتشجيع.

عبدالله بلخير

بعد أن غادرت المعهد انتهت صلتي تقريبا بالقصة، اللهم إلا بعض القصص التي نشرت، ولقد نسيتها تماما، ثم اتصلت أسبابي بالأستاذ العريف، فعملت محررا متعاونا في أوقات فراغي في المساء أنا ومجموعة من الشباب منهم الأساتذة أحمد جمال، عبد العزيز ساب، صالح جمال، حامد مطاوع، عبد العزيز السالم، عبد العزيز المسند، فريق من الشباب كانوا يتعاونون على تحرير صحيفة «البلاد» السعودية، وكان منهم الجندي المجهول الأستاذ عبد الرزاق بليلة، الذي كان يرعى صفحة الطلبة .

وكان في ذلك الوقت الأستاذ /طاهر الزمخشري أديبا كبيرا وله في «البلاد» السعودية مجال وجولات وصولات .

هذه بداية صلتي بالحرف .

❖❖ الأستاذ حسين باشا سراج : ما أول قصة كتبتها؟

❖ لم أعد أذكر الآن، ولكن سأذكر لك، أنها كانت من السذاجة إلى حد بعيد، رجل دخل في بيت شب فيه حريق، فأخذته النخوة، وحاول أن ينقذ بعض السكان، وضحى بنفسه، وشيء من هذا القبيل .

❖❖ الأستاذ محمد سعيد طيب: سمعنا أن لك قصة تروى مع الرسالة، وهناك طرف آخر يقال: إنه يدعى الميمني نود أن تسمعنا تفاصيلها .

القصة ليست مع الرسالة ولكنها مع الثقافة، والطرف الآخر منها هو السيد قاسم ميمني - يرحمه الله -، كان رجلا عجيبا تأتيه جريدة «أم القرى» أعدادا مكدسة يبيع منها عددا أو عددين بسعر قرش واحد للنسخة، ثم يأخذ الأعداد الباقية ويدخلها المخزن، ويزعم لكل واحد يراجعه أن «أم القرى» خلصت، فإذا كان الزبون يعرف الشيخ قاسم يقول له :أعطني عددا ولو بريال. فيبادر الشيخ قاسم حينئذ بإخراج العدد المطلوب، لأن «أم القرى» كانت الجريدة الوحيدة التي تنشر الإعلانات الرسمية، فكان أصحاب الإعلانات يطيرون إليها، فكان الشيخ قاسم يستغل هذا الموقف، وكان يشتكي منه بعض الناس.

المهم قصتي معه في مجلة الثقافة، وذلك أن أحد الأدباء الكبار قد باع مكتبته كلها، وعلمت أن الشيخ قاسم اشترى جانبا من هذه المكتبة، فقصدته عند نهاية ستة الأشهر عندما تم صرف الراتب وحملت معي عددا من الريالات وجئت إلى الشيخ قاسم فرأيت عنده المجلد الأول لمجلة الثقافة، وفرحت بالمجلد جدا، وساومته، فقال :عشرون ريالا! وهذا المبلغ يشكل نصف راتبي تقريبا، فقلت له :يا شيخ قاسم، الثمن باهظ

جدا، أرجو تخفيضه، قال:أبدا، عشرون ريالا .

دفعت عشرين ريالا وأخذت مجلد الثقافة، وذهبت إلى البيت، وبدأت أقرأ مجلد الثقافة، فإذا بي أفاجأ أن عددا كبيرا من المقالات القيمة قد تم نزعها من بعض الأعداد، وأن عددا من اللوحات الرائعة لكبار الفنانين غير موجودة في الأعداد التي ضمها المجلد، ولقد انزعجت انزعاجا كبيرا لضياع المقالات المسلسلة التي كنت أود أن أقرأها وأحتفظ بها .

فلما أصبح الصباح أخذت المجلد ورحت إلى الشيخ قاسم، وقلت له: هذه السلعة معيبة!

قال : وماذا تريد ؟

قلت: أن تعيد إليّ قيمتها.

قال: لن أردها أبدا.

قلت: يا شيخ قاسم حاول مساعدتي، غير رأيك.

فأصر الشيخ قاسم على عدم رد المجلد.

قلت : لكني لا أستفيد من هذا المجلد بهذا الشكل.

قال: الأمر يرجع إليك، هذه البضاعة أمامك، فانظر أية سلعة تعجبك خذها مقابل المجلد.

ألقيت نظرة فيما عنده فلم أجد إلا مجلات قديمة، وما هناك شيء يمكن الاستفادة منه، وأخيرا وقع نظري على غطاء من الصوف الخشن، ورغم أن الطقس في مكة شديد الحرارة، ولا يمكن فيه استعمال تلك الأغطية، لكن ليس هناك حل للمشكلة إلا استبدال الغطاء بالمجلد، فقلت له:

طيب يا شيخ قاسم . بكم الغطاء ؟

فقال: خذه لقاء العشرين ريالا.

في حين أن ذلك الغطاء لا يساوي خمسة ريالات، فحملت الغطاء وذهبت إلى البيت، ولقد انتفعت به أيام الطائف.

❖ الأستاذ عزيز ضياء : هل تعاملت مع أحمد حلواني؟

❖ تعاملت مع أحمد حلواني مرة واحدة، فقد كنت أتجنبه، لأنه كان رجلا يغلو في رفع الأسعار، غير أنني ورطت ذات مرة فمررت عليه وكنت محتاجا إلى نسخة من كتاب «كشف الظنون»، ورفض الشيخ أحمد أن يبيعه إلا بستين ريالا، وستون ريالا في ذلك الوقت كان معناها راتب شهر بالنسبة لي، أو راتب شهر ونصف على الأصح، ومع هذا سلمت الستين ريالا وأمري لله، وذلك لأن كتاب «كشف الظنون» لا يوجد إلا عند أحمد حلواني.

ولقد مات - رحمه الله - وهو رجل عرف بأنه يستورد الكتب الأدبية الحديثة، فكان له دوره الجيد من هذه الناحية، ولا شك أنه ساهم في تطوير الثقافة في البلد بقدر ما .

❖ الشيخ عبد الله بلخير : أود أن أقول لكم كلمة ختامية قبل أن نغادر هذا المكان الذي سعدنا فيه هذا المساء بتكريم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي. هذه الكلمة فيها شيء من الطرافة والتسلية، يقال : إن بدويا دخل البيت الحرام محرما، ولم يكن على علم بأن في الحرم أدلاء أو مطوفين أو غيرهم، وأراد أن يطوف كما يطوف الناس، وكان ذلك في السابع أو الثامن من شهر ذي الحجة، فلما وقف على المطاف ورأى الجموع المكتظة التي تزدحم حول البيت العتيق وسمع الأصوات تعج لا يكاد يفهم منها كلمة واحدة فأرتج عليه ووقف مبهوتاً لا يتكلم ولا يدري من أين يبدأ طوافه؟.. ولا كيف يدعو؟ ولا بماذا يدعو؟ فما كان منه إلا أن رفع رأسه للسماء وقال: يا رب إنك تعلم ما في نفسي وتعلم ما يقول هؤلاء الحجاج جميعهم فاقبل مني مثل ما قال هؤلاء جميعا من أدعية وزد عليها من عندك قليلا!!

ونحن في هذه الليلة سنقول للأستاذ عبد العزيز مثل ما قال ذلك البدوي: نحن نثني عليك بكل ما أثنى به عليك السابقون من الخطباء والمتحدثين والشعراء، فأنت جدير بكل هذا.

❖ الأستاذ عبد العزيز الرفاعي : قبل أن نختتم هذه الجلسة المباركة، لي كلمة أخيرة هي في الواقع كلمة أولى، وهي واجب الشكر لهذا المضيف الكبير، الأستاذ عبد المقصود خوجه، ولن تستطيع عباراتي مهما بلغت أن تؤدي واجب الشكر له، جزاه الله خيرا ■